



## التيجاني يوسف بشير

(1937 – 1912)

بقلم عبد المنعم الكتيابي \*

ولد الشاعر أحمد التيجاني يوسف بشير بمدينة أمدرمان في يوم 28 فبراير من العام 1912 للميلاد وقد أسماه أبوه أحمد التيجاني " تيمناً بمؤسس الطريقة التيجانية، السيد أحمد التيجاني. وقد نشأ التيجاني في بيئة دينية حيث كان والده أحد المقدمين في الطريقة التيجانية، وجده لأبيه حفيد الشيخ جزري حفيد الشيخ أحمد كتي الذي سميت قرية الكتياب الواقعة غرب المحمية باسمه. والشيخ أحمد كتي هو مؤسس خلاوي الكتياب في بدايات القرن السابع عشر (1615 للميلاد)، حيث لا زالت نار القرآن متقدة فيها منذ ذلك التاريخ. وجده لأمه الشيخ بابكر محمد علي الجعيلي الذي بايع المهدي في أمدرمان واستشهد مع اثنين من أبنائه في معركة كرري. وجدته لأمه الحاجة فاطمة بت بدري، وكانت من أتباع الطريقة السمانية (الشيخ قريب الله) ، واشتهرت بنظم الشعر القومي ولها العديد من المدائح.

ألق التيجاني وهو ابن خمسة أعوام بخلوة عمه الشيخ محمد القاضي الكتيابي والتي كانت جزءاً من منزل العائلة بأمدرمان شارع كرري. أتم التيجاني حفظ القرآن وهو لم يتعد العاشرة من عمره ليلحق بالمعهد العلمي بأمدرمان لدراسة اللغة العربية وعلوم الدين، وكان أصغر أبناء دفعته سناً، فلفت الأنظار نبوغه المبكر الذي دفع به إلى الاستزادة من المعرفة خارج منهج الدراسة ففضى وقتاً طويلاً بمكتبة المعهد، ومكتبة أمدرمان المركزية آنذاك وقرأ في جل فروع المعرفة، ويبدو أن كتب الفلاسفة ونظرياتهم هي ما استوقفه، وأدار في جوفه الذي احترق باكراً تلك الأسئلة العصية بحثاً عن الحقيقة، وظل يراوح بين الفكر والدين بين العقل والإيمان الفطري، وبدأت أسئلته تحير من حوله من الطلاب. ولما كانت مؤسسة المعهد كلاسيكية سلفية في آرائها ومواقفها، جعلت الطلاب يرون فيه متمرداً على المؤسسة. بجانب دوافع التنافس في الفوز برضا القائمين على المؤسسة، استدرجه بعض الطلاب في مسائل عقدية بغية الحصول على ما يثبت خروجه عن الدين، وبرغم اختلاف الروايات إلا أن الشيء الثابت أنه تمت الوشاية به عند إدارة المعهد والتي تعسفت بطبيعة حالها وقامت على الفور بفصله من المعهد. وقد صور ذلك في قصيدة" المعهد العلمي :

ما زلت أكبر في الشباب وأغتدي وأروح بين بخ ويا مرحى به  
حتى رميت وأست أول كوكب نفس الزمان عليه فضل شهابه



قالوا وَاَرْجَفَتِ النُّفُوسَ وَأَوْجَفَتِ هَلَعًا وَهَاجَ وَمَاجَ قُسُورَ غَابِهِ  
كفر ابن يوسف من شقي وأعتدي وبغي وأسستُ بعبائي أو آبه  
قالو احرقوه بل اصلبوه بل انسفوا للريح ناجس عظمه وإهابه  
ولو ان فوق الموت من مُتلمس للمرء مد إلي من أسبابه

عقب فصله من المعهد العلمي عمل محصلاً بشركة سنجر، وكان آنذاك يكتب لبعض الصحف والمجلات حتى تفرغ للصحافة عندما عمل محرراً بجريدة ملتقى النهرين لمؤسسها سليمان داؤد منديل، والتي صارت فيما بعد تحمل اسم الجريدة التجارية، كما عمل بمجلة الفجر محرراً وكاتباً، ثم مجلة أدرمان لمؤسسها المؤرخ محمد عبد الرحيم، بجانب كتاباته في مجلتي الرسالة والبلاغ المصريتين. كما وصفه الكاتب حسن نجيلة، كان التيجاني نحيل الجسم، ولعل ذلك الدأب العقلي والجهد البدني والنفس الشغوفة بالمعرفة والروح المسكونة بالإبداع مكن المرض من جسمه الناحل وروحه الشفيفة، فلم يقو على مقاومة داء الصدر الذي أطفأ شمعة عمره وهو في الريعان ابن خمسة وعشرين ربيعاً، وكانت وفاته في أخريات أغسطس من العام 1937 مخلفاً وراءه إرثاً فكرياً إبداعياً متمثلاً في مقالاته النقدية وكتاباته النثرية، وفي ديوانه إشراقة الذي أعده للطبع منذ العام 1934 ولم يتمكن من طباعته بعد عرضه لقلم المخابرات البريطانية، الذي أوصى بحذف بعض النصوص وتعديل بعض الأبيات، فاحتفظ به مخطوطاً وطبع في العام 1946 حيث أضيفت بعض النصوص التي نشرت بالصحف والمجلات. وفي الطبعات التالية، أضيفت نصوص أخرى أيضاً. ولكن تظل هناك بعض النصوص المفقودة والتي كتبها في الفترة ما بين 1934 – 1937، وظلت محل سؤال بين أجيال معاصريه وطالت التهم شعراء سودانيين وآخرين مصريين معاصرين له.

تظل سيرة هذا الرمز الخالد ساطعة وتنتظر المزيد من الدراسة والتحقيق لكشف المزيد مما خفي فيها بجانب التحقق مما لحق طبعات ديوانه إشراقة من تصحيف.

\* عبد المنعم الكتيابي، شاعر سوداني وابن أخت الشاعر التيجاني يوسف بشير.